

## دمية القصر

قلت : ولعمري إنه لم يقصّر في هذا المعنى قلماً ولساناً حيث وضع بإزاره إساءته إلى السؤال إحساناً يُعفّني على ذنبه وجعل بحذاء الجُرم عذراً يُسوِّغ الاحتمال في جنبه . وجرت بيني وبين الشيخ أبي عامر الجرجاني مناشدة لِمَا قيل في أوصاف المَساويك ومذاكرة فيما انشعبت إليه الخواطرُ في اختلاف معانيها . فأُنشدني لبعضهم ثم قال وأظنّه لبشار بن برد :

ماذا عليك دُفنتُ قبلكِ في الثرى ... من أنْ أكون خليفةَ المِسواكِ .  
أيجوز ويحك أنْ يكونَ متيّمٌ ... في القَدَرِ عندكِ دونَ عودِ أراكِ .  
واستلمحتُ تمزيهه خلافةَ المِسواكِ عَيمةً منه إلى ارتفاع ريقه وطمأً إلى ارتشاف درّه المغروس في عقيقه . وأنشدني الشيخ أبو محمد الحمداني قال : أنشدني أبو الجوائز لنفسه :

واعتنقنا ضَمّاً يذوبُ حصى اليا ... قوت منه وتطمئنُّ الذُّهُودُ .  
ثم هبَّت رُوحةُ الفجرِ والكا ... شحُّ ناءٍ والعاذلاتُ رُقودُ .  
كلّما نمَّ للفُصولِ سوارُ ... كذَّبته قلائدُ وعقودُ .  
قلن : وكنت أسمع قول ابن هـندو : .  
تعانقنا لتوديعِ عَشِيَّةٍ ... وقد شرقتْ بأدمعها الحِداقُ .  
فما زال العناقُ يضيّقُ حتى ... تشكّكنا ؛ عناقُ أو خناقُ .  
فأعجب به وأتعجّب منه مع استبشاع لفظه الخناق عند ذكر العناق تطييراً منه حتى جاء أبو الجوائز في صفة الضَمِّ بالأكمل الأتمِّ وهو قوله : وتطمئنُّ النهودُ . فإنَّ جميع ما قيل قبله على التقصير عنهما شُهود .

وقد اتَّفَقَ لي في معناه ما لا أحسبُني سُبِقتُ إليه من قصيدة وهو : .  
واتفاقِ حَسَنِ أَلْ ... لَفَّ شَملاً قد تَبَدَّدُ .  
واعتناقِ ضيقِ يُو ... هِمُّكَ المزوجُ مُفردُ .  
وأما قوله : يذوبُ حصى الياقوت فيه فمعنى حسن لا يكاد يتأخّر عنه قول ابن هـندو : .  
ولمّا أنْ تعانقنا سَحَقْنَا ... عقودَ الدُّرِّ من ضيقِ العِناقِ .  
فالأول ذوبٌ تتداوب فيه الأمانى والثاني سحقٌ تتساقط عليه الغواني . وله أيضاً C : .  
أحبتُّها حَبَشِيَّةً بجَبينها ... شرطُ يُضاعف شرط كلِّ مُتَيِّمٍ .  
تقضي فينقاد القُضاةُ لحُكمها ... طَوْعاً وتفتكُ بالكَمِيِّ المَقْدَمِ .

ومنَ الدليل على الشجاعة للفتى ... أثرُ الجراحِ بوجهه والمقدّم .  
وأنشدني الشيخ أبو عامر الجرجاني له : .  
أمنَ تيريزَ شارفَني خيالُ ... وأصحابي بكاطمةٍ هُجودُ .  
ضعيف المتّن لا يثنيه واشٍ ... يراصده ولا يعنيه بيد .  
بعتتُ إليه خالصتي فدوّتُ ... به منها مضبّرةٌ وخُودُ .  
تَراماهُ الأماعِزُ والفيافي ... وتلفظُهُ التّهائمُ والنّهجودُ .  
ويَنهى البيضَ أنْ يسلبنَ قَرَني ... ذوائبُ تستثيرُ الوجدَ سودُ .  
تنظّرُ زورتي خودَ لَعوبُ ... وتحذَرُ نَفرتي هيفاءُ رُودُ .  
وكم سمحتُ صدوفُ ولا رقيبُ ... يُحرّمُ ضمّها إلاّ النّهودُ .

قلت : ما زالت الشعراء يعدّون نَفحَ الطيب من الوُشاة وجرسَ الحَلّلي من الرّسّ قباء  
فنهّدَ أبو الجوائز إلى النّهود وعدّوه من المحذور وزاد به نغمةً في الطنبور . وفي  
هذه القصيدة يقول :

وأُطلقُ في رحابِ المجدِ عزّماً ... له من صنّع أخلاقي قيودُ .  
إذا ما أُخلقتُ أبردُ حالي ... فيردُّ الصبرِ يا بأبي جديدُ .  
فويؤلمُ المكارم من زمانٍ ... لئيمٍ وعدّه فينا وعيد .  
تفانتُ أنفُسُ الأحياء حتى ... غدّوا ولجومهم لهم لُجود .  
وأبطالُ إذا شرعوا العوالي ... فليس ورودها إلاّ الوريد .  
هُم البيضُ القواطعُ حين يُمسي ... لهم من نسجٍ خيلهم عمودُ .  
بنو حربٍ لهم علاقُ الأعادي ... رضاعُ والسُّروجُ لهم مهودُ .  
ولم يبرحْ على الصّهوات منهم ... قيامُ بالعلّاهم قُعود .  
وأنشدني أيضاً له :